E-ISSN: 2706-9931
P-ISSN: 1994-473X

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 3, (September) 2026

Social and Economic Aspects of Life in Southern Oman Through Ibn Battuta's Book *Tuhfat al-Nuzzar fi Ghara'ib al-Amsar* (d. 779 AH / 1377 AD)

Khulood Bint Hamdan Alkhataria (Corresponded Author) [1]
Mazoon Saleh Aldhmshi [2]
Alnahrawan Faiz Alrashdi [3]

[1] **Academic at the College of Education in Rustaq - University of Technology and Applied Sciences - Sultanate of Oman**khulood.h.alkhatari@utas.edu.om
[2] **Bachelor's student - Teacher Preparation Program - University of Technology and Applied Sciences - Musandam –**1748J24045@utas.edu.om
[3] **Bachelor's student - Teacher Preparation Program - University of Technology and Applied Sciences - Musandam –**1748J24048@utas.edu.om

Copyright (c) 2026 **Khulood Bint Hamdan Alkhataria. Mazoon Saleh Aldhmshi, Alnahrawan Faiz Alrashdi**

DOI: https://doi.org/10.31973/xyx6jq81

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Publication Dates

(Received 2025-09-07) (Revised 2025-09-22) (Accepted 2025-10-05) (Published 2026-09-15)

Abstract:

The travel accounts of explorers who visited the Arabian Peninsula, including Oman, represent an invaluable scholarly resource for researchers studying the region's political, geographical, and economic history, as well as its human life, social structure, demographics, languages, and tribal composition. In some cases, these writings become foundational sources for historical scholarship, particularly in the area of cultural history. This study aims to explore the nature of social and economic life in the Omani cities visited by Ibn Battuta—namely Dhofar, Qalhat, Sur, and Masirah—as documented in his famous book *Tuhfat al-Nuzzar fi Ghara'ib al-Amsar wa 'Aja'ib al-Asfar*. The study is structured into three main sections and a conclusion. The first section introduces the author and his book, the second focuses on the social life in Oman, and the third discusses the prevalent economic activities practiced by the Omani people and their commercial relations with other civilizations. The conclusion highlights the key findings of the research.

Keywords: Oman, Ibn Battuta, social life, economic life, Dhofar, Qalhat, Sur.

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 3, (September 2026)
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في جنوب عُمان من خلال كتاب تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار لابن بطوطة (ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

أ.م.د. خلود بنت حمدان الخاطرية
(المؤلف المراسل)
أكاديمي بكلية التربية بالرستاق – جامعة التقنية والعلوم التطبيقية – سلطنة عُمان

مزون بنت صالح الدهمشي العريمي
طالبة بكالوريوس . برنامج إعداد معلم –جامعة التقنية والعلوم التطبيقية – مسندم –

النهروان بنت فايز الراشدي
طالبة بكالوريوس . برنامج إعداد معلم –
جامعة التقنية والعلوم التطبيقية – مسندم –

تواريخ المنشور

الإستلام	النسخة النهائية	الموافقة	النشر الالكتروني
(٢٠٢٥/٩/٧)	(٢٠٢٥/٩/٢٢)	(٢٠٢٥/١٠/٥)	(٢٠٢٦/٩/١٥)

(مُلَخَّصُ البَحث)

تُشكِّل كتب الرحالة الذين زاروا شبه الجزيرة العربية ومن ضمنها عُمان قيمةً علميةً مضافة لا غنى عنها لأي باحث في تاريخ أحوال الجزيرة السياسية والجغرافية والاقتصادية، وحياة الإنسان، وتركيبته الاجتماعية والسكانية واللغوية والقبلية، إلى حدّ أن تُصبح هذه الكتابات في بعض الأحيان المصدر الأساس للكتابة التاريخية ولاسيما الجوانب الحضارية منها.

يهدف البحث إلى دراسة طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدن العُمانية التي زارها ابن بطوطة، مثل: مدينة: ظفار، وصور، وقلهات، ومصيرة والتي دونها في كتابه المعروف بـ تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. وتركز الدراسة على ثلاثة مباحث رئيسة وخاتمة، يناقش المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وكتابه، في حين يركز المبحث الثاني على طبيعة الحياة الاجتماعية في عُمان، ويتناول المبحث الأخير طبيعة الأنشطة الاقتصادية السائدة التي زاولها الإنسان العُماني وعلاقاتهم التجارية مع الحضارات الأخرى. وستركز الخاتمة على أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: عُمان، ابن بطوطة، الحياة الاجتماعية، الحياة الاقتصادية، ظفار، قلهات، صور.

مدخل

شهدت عُمان منذ مدة مبكرة وفود الكثير من الرحالة العرب والأجانب الذين أتوا لأهداف ومسارات مختلفة؛ منهم: العالم، والسائح، والمبشّر، والجاسوس، والتاجر؛ وعلى الرغم من تعدد الأهداف إلا أن ما تمَّ تدوينه شكّل قيمة علمية حول تاريخ عُمان على وجه الخصوص وعموم الجزيرة العربية سياسيًا، واجتماعيًا، واقتصاديًا. وفي الحالة العُمانية ربما تستمد هذه الدراسة أهمية أكبر، إذ تأتي لاستكشاف ما دونه ابن بطوطة حول عُمان في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ووصفه لدقائق الحياة اليومية وتفاصيلها وهو الجانب الذي طالما غيّبته المصادر المحلية حتى اشتكى بعض مؤرخيها كالسالمي من انشغال أبنائها عن تدوين التاريخ، قائلًا: "وأهل عُمان لا يعتنون بالتاريخ، فلذلك غابت عنَّا أكثر أخبار الأئمة فكيف بأخبار غيرهم"، كما يتذمر السالمي غير ذي مرة من ندرة المصادر التاريخية المحلية ويقول: "لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب بل كان انشغالهم بإقامة العدل، وتأثير العلوم الدينية"؛ ولذا لا غرابة مع نقص المصادر المحلية أن تكون مؤلفات الرحالة العرب والأجانب، المعوّل الرئيس للباحثين ولاسيما أن بعضًا منهم كان شاهد عيان ومعاصرًا لكثير من الأحداث، مثل: ابن بطوطة على سبيل المثال لا الحصر. (السالمي، ٢٠٠٠، ص: ١٢، ١٨).

وعليه؛ تعرض الدراسة البحثية مجموعة من الإشكالات، لعل أهمها: غموض تفاصيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عُمان في المدة الزمنية التي زار فيها ابن بطوطة عُمان وهي في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي؛ لذا تسعى الدراسة عبر ما ذكره ابن بطوطة إلى تتبع واقع الحياة الاجتماعية والمستوى المعيشي وتفاصيل الحياة اليومية التي عاشها الإنسان العُماني في جنوب عُمان. ولتحقيق أهداف الورقة البحثية، حرص الباحثون على تطبيق المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، عبر قراءة النصوص التاريخية التي أوردها ابن بطوطة، واستقرائها، وتصنيفها، وتحويلها إلى مادة تتماشى ومباحث الدراسة. أما من حيث الدراسات السابقة؛ فإن مادة ابن بطوطة في كتابه هذا لم تتم دراستها والتعرض لها سابقًا، على الرغم من توجه بعض الباحثين إلى دراسة سجلات الرحالة الأجانب، وتوجح

البعض منهم لتناول أدب الرحلات، أمثال: الحجري في كتابه "أدب الرحلات والاستشراق"، وسليم الهنائي في كتابه الموسوم "عُمان في مصادر الجغرافيا والرحلات الإسلامية في العصر الإسلامي الوسيط".

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وكتابه

هو محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف من إحدى قبائل البربر، ويُكنّى بأبي عبدالله، وقد لُقّب بـ شيخ الرحّالين؛ نظراً للمدة الطويلة التي قضاها في الترحال والتنقل، والتي امتدت إلى ما يقارب ثلاثون عامًا. كان يتميز بشغفه بالاستكشاف وحرصه على جمع الأخبار، فضلا عن اهتمامه برصد الأوضاع الاجتماعية والثقافية في المناطق التي زارها، وقدرته الفائقة على استيعاب التفاصيل ونقلها. وُلد ابن بطوطة في سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٤م) في مدينة طنجة المغربية، وينحدر من أسرة ذات مكانة علمية، إذ شغل أفرادها منصب القضاء (الزركلي، ٢٠٠٢، ص: ٦/٢٣٥).

درس ابن بطوطة العلوم الشرعية وفقًا للمذهب المالكي، لكنه لم يُكمل تعليمه؛ بسبب شغفه بالترحال منذ صغره. كان الدافع الأساس لبدء أسفاره هو أداء فريضة الحج، إلى جانب رغبته في اكتساب معارف جديدة. وكانت انطلاقة رحلاته يوم كان عمره في الحادية والعشرين ، متوجهًا إلى مكة المكرمة لأداء الحج. وكما يروي ابن بطوطة في كتابه، فقد بدأ رحلته منفردًا من دون رفيق، تاركًا والده الذي كان لا يزال على قيد الحياة، وقد وصف لحظة مغادرته بأنها أشبه بخروج الطيور من أعشاشها، وكان أكثر ما أثر فيه حزن والده عند فراقه. استمرت رحلاته ما يقارب ثلاثون عامًا، شملت معظم أنحاء العالم الإسلامي وما وراءه، من شمال وغرب أفريقيا إلى جنوب وشرق أوروبا، وشبه القارة الهندية، وجنوب شرق آسيا، وصولًا إلى الصين (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ١٤-١٥).

أما بالنسبة لكتاب رحلة ابن بطوطة؛ فيقع في جزأين ، يقارب ثمانمئة صفحة؛ تحدث فيها ابن بطوطة عن عدد من الأماكن الجغرافية مفصلًا الكثير من المعارف الحضارية الدقيقة عن تلك البلدان،وشعوبها، وعاداتهم، وتقاليدهم، وديانهم، ولغاتهم، وحياتهم اليومية، ومعاشهم، وعيشهم. وقد بدأ رحلته بخروجه من مسقط رأسه طنجة، ثم مرورًا ببعض البلدان والمدن، مثل: تونس، ومصر، والإسكندرية، ولبنان،

ودمشق، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، واليمن، ومقديشو، وكلوة، وعُمان، وظفار[١]، وصور[٢]، ومصيرة[٣]، وقلهات[٤]، ونزوى[٥]، وهرمز[٦]، وشيراز، وأنطاليا، ولار، والبلغار، والقسطنطينية، وما وراء النهر، وخوارزوم، وهراة، والسند، ودهلي، والهند، وقندهار، والصين (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص:٧٧٧- ٧٩٧).

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في عُمان

تناول ابن بطوطة مجموعة من الجوانب المتعلقة بالحياة الاجتماعية لأهالي ظفار، وصور، ومصيرة، وقلهات في كتابه المعروف تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار، ومن التفاصيل التي ذكرها عادات أهل ظفار عند استقبال المراكب التجارية القادمة إليهم، إذ كان السلطان يأمر عبيده بحمل الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيلة، ولربان السفينة، وللكراني، ومن ثمَّ يُحملون على ثلاثة خيول من ساحل البحر إلى دار السلطان يرافقهم الناس، ويدق العبيد الطبول والأبواق من ساحل البحر حتى وصولهم إلى دار السلطان، وترسل الضيافة إلى من بالمركب ثلاثة أيام، ثم يأكلون في اليوم الرابع في دار السلطان. وقد ذكر ابن بطوطة ذلك في قوله: "ومن عاداتهم أنه إذا وصل مركب من الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل، وصعدوا في صنبوق[٧] إلى المركب، ومعهم الكسوة الكاملة

[١] . ظفار: في الإقليم الأول، وطولها ثمان وسبعون درجة، وعرضها خمس عشرة درجة، بفتح أوله، والبناء على الكسر، بمنزلة قطام وحذار، وقد أعربه قوم، وهو بمعنى اظفر أو معدول عن ظافر، وفرضتها مرباط. يراجع: (الحموي، ١٩٩٥، ص: ٦٠/٤).

[٢] . صور: مدينة بجنوب شرقية عُمان، اشتهرت بصناعة السفن والمراكب البحرية. ينظر: (العتيقي، ٢٠٢٠، ص: ٢٢).

[٣] . مصيرة: مدينة بحرية في جنوب شرقية عُمان، وهي عبارة عن جزيرة. ينظر: (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٠٦)

[٤] . قلهات: مدينة بعُمان على ساحل البحر، إليها ترفأ أكثر سفن الهند، عامرة آهلة بالسكان وأهلها إباضية. لمزيد من التفاصيل، يراجع: (الحموي، ١٩٩٥، ص: ٤/ ٣٩٣).

[٥] . نزوى: بالفتح ثم السكون، نزوة. مدينة والجامع وسط السوق إذا غلب الوادي في الشتاء دخله، وشربهم من أنهار وآبار. لمزيد من التفاصيل، يراجع: (المقدسي، ١٩٩١،ص: ٧٠، ٩٣ ؛ الحموي، ١٩٩٥، ص:٥/ ٢٨٥).

[٦] . هرمز: بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الميم، وآخره زاي، وهرمز من أسماء العجم، وهي مدينة في البحر إليها خور وهي على ضفة ذلك البحر وهي على برّ فارس، وهي فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان ،وسجستان ،وخراسان، ومن الناس من يسميها هرموز. يراجع: (الحموي، ١٩٩٥، ص: ٤٠٢/٥).

[٧] .الصنبوق: أو بالسين السنبوق، وهي إحدى أهم المراكب المشهورة في عُمان والخليج العربي، وتستعمل في الصيد، ونقل الأمتعة والركاب عبر المحيط الهندي. يراجع: (الغيلاني، ١٩٩١، ص: ٣٥).

لصاحب المركب أو وكيله، وللربان[٨] وهو الرئيس، وللكراني[٩]، ويؤتى إليهم بثلاثة أفراس فيركبونها، وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير الجند، وتُبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثًا، وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨).

وفي اعتقادنا إن هذه الحفاوة في استقبال المراكب البحرية من سكان أهالي ظفار وجود ما يسوغه، إذ اعتمدت عُمان في مختلف مراحلها التاريخية ركوب البحر للتجارة ،ونقل البضائع شرقًا وغربًا؛ ومن ثم ليس من الغرابة في شيء أن يأتي وصف ابن بطوطة لاستقبال أهالي ظفار للسفن البحرية فخمًا حتى يظن قارئ النص للوهلة الأولى أنه شيئ غير مألوف أو ربما مبالغ فيه.[١٠]

ومن العادات الحسنة التي أشار إليها ابن بطوطة في المجتمع الظفاري، عادة مصافحة المصلين بعضهم بعضًا في المساجد ولاسيما بعد صلاتي الفجر والعصر، وبعد صلاة الجمعة، إذ يعلق ابن بطوطة على ما رآه بقوله: "ومن عوائدهم الحسنة التصافح في المسجد إثر صلاة الصبح والعصر؛ يستند أهل الصف الأول إلى القبلة، ويصافحهم الذين يلونهم، وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون أجمعون" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨-٢٦٩).

وتستمد عادة المصافحة عند اللقاء بين المسلمين شرعيتها من السنة النبوية، إذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصافح أصحابه إذا لقيهم؛ لما في ذلك من تثبيت المودة ،وإزالة الشحناء بين أفراد المجتمع. يقول أنس بن مالك: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا" (ابن حجر،٢٠٠٠، ص: ج١١/٦١).

وإلى جانب ذلك؛ رصد ابن بطوطة أيضًا كرم أهل ظُفار وقلهات، وتواضعهم، وحسن أخلاقهم، ومعاملتهم الطيبة مع الجميع بمن فيهم الغرباء عن مدنهم، إذ وصف ابن بطوطة أهل ظفار بقوله: "وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبّة للغرباء" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨)، كما وصف استقباله عند وصوله مدينة قلهات بقوله: "

---

[٨] . الربان: صَاحب سكان الْمركب البحري. يراجع: (الأزدي، ١٩٨٧، ص: ٣٢٩/١).

[٩] . الكراني: كلمة فارسية معربة، وتعني الحمّال. يراجع: (ابن منظور، ١٩٩٣، ص: ٣٥٧/١٣ ؛ ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٥٨).

[١٠] . الغيلاني، حمود بن حمد. صناع السفن في سلطنة عُمان. طبع على نفقة الشيخ حمود بن حمد الغيلاني، ٢٠٢٠، ص٣٣.

فلمّا وصلنا باب المدينة كان ختام المشقّة أن قال لنا الموكّل بالباب: لابدّ لك أن تذهب معي إلى أمير المدينة ليعرف قضيّتك، ومن أين قدمت، فذهبت معه إليه، فرأيته فاضلًا حسن الأخلاق، وسألني عن حالي وأنزلني وأقمت عنده ستّة أيّام لا قدرة لي فيها على النّهوض على قدمي لما لحقها من الآلام" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص:٢٧٨).

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في ظفار، الملبس،فقد كان لباس أهلها القطن، والحرير، والكتان، ويُجلب إليهم من الهند (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨). وقد ركز ابن بطوطة على تفاصيل لباس أهل ظفار؛ فقال: "ولباسهم القطن، وهو يجلب إليهم من بلاد الهند، ويشدّون الفوط في أوساطهم عوض السراول، وأكثرهم يشدّ فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدّة الحرّ، ويغتسلون مرّات في اليوم وهي كثيرة المساجد، ولهم في كلّ مسجد مظاهر كثيرة معدّة للاغتسال، ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتّان حسان جدّا" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨).

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية أيضًا التي استرعت انتباه ابن بطوطة في جنوب عُمان، اللغات أو اللهجات المحلية التي كان يتحدث بها الناس الذين التقى بهم، إذ نجده يصف لهجة الأهالي عند وصوله قلهات، بقوله: "وكلامهم ليس بالفصيح مع أنّهم عرب، وكلّ كلمة يتكلّمون بها يصلونها بلا، فيقولون مثلا تأكل لا؟ تمشي لا؟ تفعل كذا لا" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٨).

أما إذا جئنا إلى الجانب العمراني فقد تحدث ابن بطوطة عن نماذج عمرانية متعددة، مثل: الجوامع والمساجد، والأسواق، والقصور، والحصون، إذ نجده يتعجب من ضخامة البناء، والهندسة المعمارية ،والنقوش ،والزخارف الموجودة في مسجد مدينة قلهات؛ فيقول: "ولها مسجد من أحسن المساجد حيطانه بالقاشاني وهو شبه الزليج وهو مرتفع ينظر منه إلى البحر والمرسى" (ابن بطوطة، ١٩٨٧: ٢٧٨). وفي ظفار وصف ابن بطوطة قصر سلطانها الواسع بجوار الجامع، فقال:"

وللسلطان قصر بداخل المدينة يسمّى الحصن، عظيم فسيح والجامع بإزائه" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨). كما وصف ابن بطوطة عمران مدينة حاسك بالبساطة، إذ كانت لا تتعدى أن تكون بيوتًا صغيرة مبنية من عظام الأسماك ،وسقوفها من جلود الجمال (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٤). ويتشابه العمران في جبل لمعان مع

مباني حاسك في بساطتها واستعمالها الأدوات المتوافرة في البيئة المحلية، واستعمالهم عظام الأسماك في سقوف البيوت أو جدرانها (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٤).

ومن أكثر مظاهر الحياة الاجتماعية التي فصّل ابن بطوطة خلفياتها عند زيارته جنوب عُمان أصناف المأكولات التي اشتهرت عندهم، والتي كان أهمها: الأسماك، إذ كان السردين أكثر الأنواع شهرة في ظفار (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٧)، كما كان السمك الطعام الرئيس لأهالي جزيرة مصيرة، قال في ذلك: "وصلنا إلى جزيرة مصيرة التي منها صاحب المركب الذي كنّا.. وهي جزيرة كبيرة لا عيش لأهلها الّا من السمك" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٦). كما كان طعام أهل ظفار الذرة، والتمر، والخبز، والكعك، والنارجيل الذي يصنعون منه الحليب والعسل، ويستخرجون منه الزيت (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٩، ٢٧٥).

وأما صنع الحليب، فإن النساء تصنعه كما ينقل ابن بطوطة، بقوله: "وأمّا كيفيّة صنع الحليب منه؛ فإنّ بكلّ دار شبه الكرسيّ تجلس فوقه المرأة ويكون بيدها عصا في أحد طرفيها حديدة مشرفة، فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة، ويجرشون ما في باطن الجوزة، وكلّ ما ينزل منها يجتمع في صحفة حتّى لا يبقى في داخل الجوزة شيء، ثمّ يمرس ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب بياضًا ويكون طعمه كطعم الحليب، ويأتدم به الناس" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٣).

وقد نقل ابن بطوطة أيضًا عن مجتمع أهل ظفار استخراج الزيت من ثمار النارجيل؛ والذي استعملوه كعلاج وغذاء، فقال: "وأمّا كيفيّة صنع الزيت؛ فإنّهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن الشجرة، فيزيلون قشره، ويقطعونه قطعًا، ويُجعل في الشمس، فإذا ذبل، طبخوه في القدور، واستخرجوا زيته، وبه يستصحبون ويأتدمون به، وتجعله النساء في شعورهنّ وهو عظيم النفع" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٣).

أما أشهر أنواع السمك التي رآها ابن بطوطة عند زيارته عُمان، فضلا عن السمك المقدّد والمشرّح[١١] (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٤)؛ فهو سمك مدينة قلهات، الذي كانوا يأكلونه مع التمر، أو الأرز ،وينقل ابن بطوطة ذلك في أثناء رحلته من

[١١] . السمك المقدد يعني السمك المجفف بالهواء وهو يختلف عن السمك المملح أو المالح. يراجع: (مجموعة مؤلفين، ١٩٧٢، ص: ٨٨٣/٢).

ظفار إلى قلهات؛ فيقول: "وأكلت بهذه المدينة سمكًا لم آكل مثله في إقليم من الأقاليم، وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه، وهم يشوونه على ورق الشجر، ويجعلونه على الأرز ويأكلونه" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٨).

لم يقتصر ابن بطوطة على نقل المأكولات البحرية التي اشتهرت بها مدن جنوب عُمان، كالسمك مثلًا، بل ركّز أيضًا على مهارة تجّار عُمان في صنع الذرة على ظهر السفينة التي خرجت من ظفار إلى مصيرة، ومن ثمَّ إلى قلهات، وقد أُعجب ابن بطوطة بطريقة طبخهم لها، إذ قال: "وأكلت في ذلك المركب نوعًا من الطعام لم آكله قبله ولا بعده، صنعه بعض تجار عمان وهو من الذرة، طبخها من غير طحن وصبّ عليها السّيلان وهو عسل التمر[١٢]" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٦).

من جانب آخر؛ فقد نقل ابن بطوطة عن مجتمع جنوب عُمان، توجه بعضهم إلى الاستغاثة بالأولياء والتبرك بالصالحين الأحياء أو الأموات؛ بقصد طلب العون والمساعدة منهم على قضاء الحوائج وتفريج الكربات، إذ نقل عند زيارته ظفار؛ فقال: "وبقرب من هذه المدينة بين بساتينها زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمّد بن أبي بكر عيسى من أهل ظفار، وهذه الزاوية معظّمة عندهم يأتون إليها غدوًّا وعشيًّا، ويستجيرون بها؛ فإذا دخلها المستجير لم يقدر السلطان عليه. وقد رأيت بها شخصًا ذكر لي أن له بها مدّة سنين مستجيرًا، لم يتعرّض له السلطان، وفي الأيّام التي كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حتّى وقع بينهما الصلح" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٩).

إلى جانب ذلك؛ يذكر ابن بطوطة أن الناس لم يكتفوا بمحادثة الأولياء والصالحين، بل تعداه إلى التبرك بمقتنياتهم وما يملكوه؛ فيذكر: "ولمّا غسلنا أيدينا من الطعام أخذ أبو العباس منهما ذلك الماء الذي غسلنا به فشرب منه، وبعث الخادم بباقيه إلى أهله وأولاده فشربوه" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٠). كما لم تقتصر هذه العادة على عامة الناس، إذ كان الجند يتبعون الطريقة نفسها إذا تأخرت أرزاقهم- أي: رواتبهم؛ فيقول: "وعادة الجند أنّه إذا تمّ الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم استجاروا بهذه التربة وأقاموا في جوارها إلى أن يعطوا

[١٢] . عسل التمر: وهو الدِّبسُ، وهو عُصارةُ الرُّطَب والتَّمْر. يراجع: (الفراهيدي، د.ت، ص: ٢٣١/٧).

أرزاقهم" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٠).

المبحث الثالث: طبيعة الأنشطة الاقتصادية التي زاولها المجتمع العُماني

يركز ابن بطوطة في رحلته إلى جنوب عُمان في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على الأنشطة الاقتصادية التي مارسها المجتمع العُماني آنذاك؛ ولعل طبيعة المكان الجغرافي قد فرضت على سكانها الاشتغال بالتجارة، إذ نجده يصف أهالي ظفار، وقلهات؛ بقوله: "وهم أهل تجارة، ومعيشتهم ممّا يأتي إليهم من البحر الهنديّ" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٨). ومن الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي مارسها السكان في جنوب عُمان، الزراعة؛ مثل: زراعة الذرة، والتي وصف ابن بطوطة الطريقة التقليدية التي اتبعها السكان في سقي هذا المحصول، إذ يقول: "وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء؛ وكيفيّة سقيهم أنّهم يصنعون دلوًا كبيرة ويجعلون لها حبالًا كثيرة، ويتحزّم بكلّ حبل عبد أو خادم، ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر، ويصبّونها في صهريج يسقون منه" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨). وعليه؛ يبدو من هذا النص أن الناس كانوا يعانون من شح المياه وقلتها، فضلا عن معاناتهم في جلبها من الآبار إلى وصولها للحقول الزراعية.

ومن المحاصيل الزراعية التي مارس الإنسان العُماني زراعتها أيضًا، القمح (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨)، كما زرعوا الموز؛ المعروف في بلاد فارس بالمرواري، وكان يُصّدر من جنوب عُمان إلى هرمز (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٩). وأما الأرز، والأقمشة؛ مثل: الحرير، والقطن، والكتان؛ فقد كان يُجلب إليهم من الصين، والهند (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨- ٢٧١)، بالمقابل فقد تاجر أهل ظفار بالنارجيل إلى الهند والصين عبر المحيط الهندي (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٨). ومن أشهر المحاصيل الزراعية التي راجت في ظفار تحديدًا؛ التنبول[١٣]؛ وهي شجرة تغرس كما تغرس دوالي العنب، ويصنع له معرّشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب أو يغرس في مجاورة شجر النّارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدّوالي. وقد كان أهالي ظفار يزرعونه ليس لثمره، وإنّما لجني

[١٣]. التنبول: شجيرة تنمو في الهند والصين وماليزيا، أوراقها معطرة، وهي شجرة معظمة عند الهنود. ينظر: (القرشي، ٢٠٠٣، ص: ٨٠/٣).

ورقه، وهو يشبه ورق العلّيق، وأطيبه الأصفر، ويتم جني ورقه كلّ يوم، أو بحسب حاجة الأهالي لورق التنبول (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٠ – ٢٧١).

وإذا نظرنا إلى إشارة ابن بطوطة حول أهم المحاصيل الزراعية التي زاولها الإنسان في جنوب عُمان ولاسيما ظفار، فذلك يرجع إلى طبيعة ظفار المناخية المعتدلة ،وتضاريسها الخصبة التي تدعّم ازدهار وثراء الأنشطة الزراعية والرعوية، ومن ثم تُقدم ظفار في الوقت الحاضر أنموذجًا في سبيل تحقيق الاكتفاء الذاتي وحتى لاحقًا الاتجاه نحو التصدير إلى دول الجوار الإقليمي والعالمي؛ حتى وصفها الكتّاب والباحثون في العصر الحديث بـ "سلة غذاء عُمان"، إذ يعول على هذا الجزء من السلطنة إقامة عدد من مشاريع الأمن الغذائي، مثل: زراعة القمح، والكركم، والزيتون، وزراعة النخيل وإنتاج التمور، ومحاصيل البطاطس، وأشجار النارجيل "جوز الهند"، وقصب السكر، واللبان، وغيرها من المشاريع الزراعية والتصنيعية الأخرى(اليافعي، ٢٠٢٥، ص١).

ومن الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي مارستها المرأة في جنوب عُمان، وفي ظفار بالتحديد صناعة الصمغ واللبان؛ وقد ذكر ابن بطوطة تفاصيل استخراج الصمغ؛ بقوله: "وإذا شرطت الورقة منه قطر منها ماء شبه اللبن ثم عاد صمغا وذلك الصمغ وهو اللبان" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٤). ويبدو من النص أن ابن بطوطة قد خلط بين الصمغ واللبان، وكما يبدو أنه كان يقصد طريقة استخراج اللبان وليس الصمغ؛ لأن اللبان يعد السلعة الأشهر والأكثر رواجًا في ظفار. ويتم استخراجه عن طريق جرح أو كشط سيقان وأفرع الشجرة على طبقة اللحاء بآلة تسمى (المنقف)، ويطلق على هذه العملية بـ (التوقيع)؛ وينتج عن هذه العملية إفراز مادة لزجة قابلة للتجمد، ويتم التخلص منها في الضربة الثانية، وكشطها إلى الأرض بعد أسبوعين من التجريح الأول في عملية تسمى بـ(السعفة)، وبعدها يتم جمع محصول اللبان، ثم يتم جرح نفس المنطقة مرة ثالثة، وتعرف بعملية (السعفة الثانية)، ثم تتكرر عمليات السعفة إلى آخر عمليات جمع اللبان وتسمى (الكشمه)؛ وهي تعني أخذ المحصول من دون جرح الشجرة لتأخذ راحتها للموسم المقبل (السيرافي، ١٩٩٩، ص: ٨٨ ، الغساني، د.ت، ص: ٤٢).

من جانب آخر؛ مارس الناس في جنوب عُمان صناعة العسل المستخرج من ثمرة شجرة النارجيل؛ وقد فصَّلَ ابن بطوطة طريقة صنعة؛ واستحسان تجار اليمن، الهند، والصين هذا المشروب؛ بقوله: " فأما كيفيّة صناعة العسل منه؛ فإنّ خدّام النخل منه.. يصعدون إلى النخلة غدوًا وعشيّا إذا أرادوا أخذ مائها الذي يصنعون منه العسل، وهم يسمّونه الأطواق، فيقطعون العذق الذي يخرج منه الثمر، ويتركون منه مقدار إصبعين، ويربطون عليه قدرًا صغيرة؛ فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العذق، فإذا ربطها غدوة وصعد إليها عشيًّا ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور، أحدهما مملوء ماء فيصبّ ما اجتمع من ماء العذق في أحد القدحين ويغسله بالماء الذي في القدح الآخر، وينجر من العذق قليلًا، ويربط عليه القدر ثانية، ثم يفعل غدوة كفعله عشيًّا، فإذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب..؛ فيصير عسلًا عظيم النفع طيّبا فيشتريه تجار الهند واليمن والصين، ويحملونه إلى بلادهم ويصنعون منه الحلواء" (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٢).

ومن نص ابن بطوطة، يتضح لنا أن جنوب عُمان قد اكتسبت شهرة تجارية؛ الأمر الذي جعلها محط أنظار المراكب التجارية من دول جنوب شرق آسيا، مثل: الهند، والصين، والتجار العرب، وإن المنتجات الظفارية قد لاقت استحسانًا ورواجًا لديهم.

ومن المعروف عن أهالي عُمان بوجه عام وجنوبها على ولاسيما أنهم أهل تجارة؛ وعليه كانت صناعة المراكب البحرية والسفن التجارية من المهن التي شاعت في ظفار والمدن الشرقية من عُمان، مثل: قلهات، وصور، ومصيرة؛ وقد ذكر ابن بطوطة في أثناء حديثه عن شجرة النارجيل أن أهل عُمان استعملوا ليف ثمرة النارجيل في صناعة الحبال التي استعملوها في ربط أجزاء المراكب البحرية بدل استعمالهم المسامير (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧١).

كما وصف ابن بطوطة أسواق جنوب عُمان، إذ دخل سوق ظفار، وهو يقع خارج أسوار المدينة، وأكثر السلع التي يتبادلها الناس فيه، هي: الأسماك، والفواكه. وقد أخذ ابن بطوطة انطباعًا سيئًا عن سوق ظفار؛ لكثرة ما يباع فيه من السردين الذي يستعملوه علفًا لمواشيهم (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٦-

٢٦٨)؛ بالمقابل استحسن ابن بطوطة سوق قهات؛ لحسن ترتيبه ونظافته (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٧٠).

من جانب آخر؛ فقد تحدث ابن بطوطة عن العملات النقدية التي استعمها الناس في معاملاتهم اليومية داخل هذه الأسواق، مثل: البيع والشراء؛ فقد كانت دراهمهم مصنوعة من النحاس ،والقصدير (ابن بطوطة، ١٩٨٧، ص: ٢٦٨).

النتائج المستخلصة

أولًا: تُشكّل كتب الرحالة قيمةً علميةً مضافة لا غنى عنها لأي باحث في تاريخ أحوال عُمان السياسية ،والجغرافية، والاقتصادية ،وحياة الإنسان ،وتركيبته: الاجتماعية، والسكانية ،واللغوية، والقبلية، إلى حدّ أن تُصبح هذه الكتابات في بعض الأحيان المصدر الأساس للكتابة التاريخية ولاسيما الجوانب الحضارية منها؛ ولاسيما مع ندرة المؤلفات المحلية التي تعكس حياة الناس وأساليب عيشهم.

ثانيًا: رصد النص التاريخي الذي تناوله ابن بطوطة مجموعة من الأنشطة الاجتماعية المتعلقة بحياة الناس اليومية في جنوب عُمان في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي؛ لعل أولهما: كرم أهالي ظفار، ومصيرة، وصور، وقلهات، وتواضعهم وحسن أخلاقهم ومعاملتهم الطيبة مع الجميع بما فيهم الغرباء، وثانيها: عاداتهم وتقاليدهم في حسن استقبال المراكب البحرية التجارية، وترحيبهم الواسع بكل من فيها بدءًا بصاحب المركب، ووكيله، وكاتبه، إلى بقية أفراد المركب الذي تمتد ضيافتهم إلى ثلاثة أيام مصحوبة بدق الطبول والأبواق من الساحل إلى دار السلطان، وثالثها: عادات أهالي جنوب عُمان ومصافحة بعضهم بعضًا عقب الصلوات الخمس المفروضة فضلا عن صلاة الجمعة.

ثالثًا: قدّمت رحلة ابن بطوطة وصفًا تفصيليًا نوعًا ما، حول الملبس في جنوب عُمان، والذي تمثل في استعمالهم القطن، والحرير، والكتان، ولبسهم الفوط/ الإزار عوض السراويل، ونظافتهم بالإغتسال مرات عديدة يوميًا؛ لشدة حرارة المناخ فيها ورطوبته.

رابعًا: على الرغم من حرص ابن بطوطة على وصف مجموعة من النماذج العمرانية في جنوب عُمان، مثل: الجوامع، والمساجد، والأسواق، والحصون، والقصور، إلا أنها كانت مقتضبة لم تتعد إعجابه بمظهرها الخارجي ،وسعتها ،وإطلالتها، عدا تفصيله في مسجد قلهات الذي تعجب من: ضخامة بنائه، وهندسته،

ونقوشه، وزخارفه، وتزيين حيطانه بالقاشاني.

خامسًا: حرص ابن بطوطة على نقل أصناف المأكولات التي اشتهرت بها مدن جنوب عُمان، إذ يأتي السمك في قائمة الأصناف الأكثر انتشارًا، يليها الأطباق التي اعتمدت محصول النارجيل والذرة، والذي فصَّل ابن بطوطة في ذكر زراعتها ،وكيفية سقيها، وجني محاصيلها.

سادسًا: أكدَّت الدراسة دور المرأة وإسهاماتها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية جنبًا إلى الرجل، إذ أشار ابن بطوطة إلى دورها المباشر في صناعة الصمغ ،واللبان، وصناعة حليب وزيت النارجيل الذي استعمله المجتمع الظفاري كإيدام وطبق يقدم مع الخبز، والأرز، أو أي طعام آخر، فضلا عن صنع عسل النارجيل الذي اشتراه تجار اليمن، والهند، والصين لصنع الحلوى.

سابعًا: أشار ابن بطوطة في أكثر من نص تاريخي إلى وجود فئة من المجتمع تؤمن بأن الاستغاثة بالأولياء والتبرك بالصالحين تساعدهم على قضاء حوائجهم، وتحقيق مطالبهم، ودفع الشر عنهم، كما شاهد ذلك في أثناء زيارته للشيخ أبي محمّد بن أبي بكر عيسى من أهل ظفار.

ثامنًا: أثبتت الدراسة أن أهالي جنوب عُمان مارسوا ثلاثة من الأنشطة الاقتصادية؛ وهي: التجارة البحرية بحكم موقعهم الجغرافي، وزراعة المحاصيل الزراعية، مثل: الذرة، والقمح، والنارجيل، والتنبول، والموز، فضلا عن صناعة المراكب والسفن البحرية.

تاسعًا: أشارت الدراسة إلى وجود الأسواق في جنوب عُمان، وكان أشهرها سوق ظفار، وسوق قلهات، وكانت الدراهم المصنوعة من القصدير ،والنحاس العملة المتداولة في بيعهم وشرائهم.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله(ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م) (١٩٨٧). رحلة ابن بطوطة تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد العريان (ط١). دار إحياء العلوم.

ابن حجر، أحمد بن علي(ت:٧٧٣-٨٥٢هـ) (٢٠٠٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري (ط١). دار السلام.

ابن منظور، محمد بن مكرم(ت:٧١١هـ/١٣١١م) (١٩٩٣). لسان العرب (ط٣). دار صادر.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٣٢١هـ/٩٣٣م) (١٩٨٧). جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي. (ط١). دار العلم للملايين.

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت:٦٢٢هـ/١٢٢٥م) (١٩٩٥). معجم البلدان (ط٢). دار صادر.

الزركلي، خير الدين بن محمود (ت: ١٣٣٦هـ/ ٢٠١٤م) (٢٠٠٢). الأعلام (ط١٥). دار العلم للملايين.

السالمي، عبدالله بن حميد (ت:١٣٣٢هـ/١٩١٣م) (٢٠٠٠). تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان (د.ط). مكتبة الإمام نور الدين السالمي.

السيرافي، أبو زيد حسن بن زيد (ت بعد ٣٣٠هـ/٩٤١م) (١٩٩٩). رحلة السيرافي (ط١). المجمع الثقافي.

العتيقي، ناصر بن سعيد (٢٠٢٠). مواقف القوى الكبرى من النشاط الملاحي لمدينة صور العُمانية في عهد السلطان فيصل بن تركي (ط١). مكتبة الصارية.

الغساني، عبد القادر بن سالم (د.ت). ظفار أرض اللبان (د.ط). المطابع العالمية.

الغيلاني، حمود بن جويد، التاريخ الملاحي وصناعة السفن في مدينة صور العُمانية (ط١). المطابع العُمانية.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت:١٧٠هـ/٧٨٦م) (د.ت). كتاب العَيَّن، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي (د.ط). مكتبة الهلال.

القرشي، أحمد بن يحيى(ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) (٢٠٠٣). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ط١). المجمع الثقافي.

مجموعة مؤلفين (١٩٧٢). المعجم الوسيط (ط١). مجمع اللغة العربية.

المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت:٣٨٠هـ/٩٩٠م) (١٩٩١). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط٣). مكتبة مدبولي.

اليافعي، عادل بن سعيد. الاستثمار الزراعي في محافظة ظفار. مقالة بحثية بتاريخ: ٦/ ٩/ ٢٠٢٥م، جريدة عُمان: مسقط.

List of Arabic Sources and References

Ibn Battuta, Muhammad ibn Abdullah (d. 779 AH / 1377 AD) (1987). *The Journey of Ibn Battuta: Tuḥfat al-Nuẓẓār fī Gharāʾib al-Amṣār wa ʿAjāʾib al-Asfār*, edited by Muhammad al-‘Aryan (1st ed.). Dar Ihya’ al-‘Ulum.

Ibn Hajar, Ahmad ibn Ali (d. 773–852 AH) (2000). Fath al-Bari: Commentary on Sahih al-Bukhari (1st ed.). Dar Al-Salam.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram (d. 711 AH / 1311 AD) (1993). Lisan al-Arab (3rd ed.). Dar Sader.

Al-Azdi, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan (d. 321 AH / 933 AD) (1987). Jumhurat al-Lugha, edited by Ramzi Baalbaki (1st ed.). Dar Al-Ilm Lil-Malayin.

Al-Hamawi, Shihab al-Din Yaqut ibn Abdullah (d. 622 AH / 1225 AD) (1995). Muʿjam al-Buldan (2nd ed.). Dar Sader.

Al-Zarkali, Khair al-Din ibn Mahmoud (d. 1336 AH / 2014 AD) (2002). Al-Aʿlam (15th ed.). Dar Al-Ilm Lil-Malayin.

Al-Salmi, Abdullah ibn Hamid (d. 1332 AH / 1913 AD) (2000). Tuhfat al-Aʿyan fi Sirat Ahl ʿUman (n.ed.). Imam Noor al-Din al-Salmi Library.

Al-Sirafi, Abu Zayd Hasan ibn Zayd (d. after 330 AH / 941 AD) (1999). The Voyage of al-Sirafi (1st ed.). Cultural Foundation.

Al-ʿUtaiki, Nasser ibn Said (2020). Positions of Major Powers Toward the Maritime Activity of Sur, Oman During the Reign of Sultan Faisal bin Turki (1st ed.). Al-Sariyah Library.

Al-Ghassani, Abdul Qadir ibn Salim (n.d.). Dhofar: The Land of Frankincense (n.ed.). International Press.

Al-Ghilani, Hamoud ibn Juwayd. Maritime History and Shipbuilding in the City of Sur, Oman (1st ed.). Oman Printing Press.

Al-Farahidi, Khalil ibn Ahmad (d. 170 AH / 786 AD) (n.d.). Kitab al-ʿAyn, edited by Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarra'i (n.ed.). Al-Hilal Library.

Al-Qurashi, Ahmad ibn Yahya (d. 749 AH / 1348 AD) (2003). Masalik al-Absar fi Mamalik al-Amsar (1st ed.). Cultural Foundation.

Group of Authors (1972). Al-Muʿjam al-Wasit (1st ed.). Academy of the Arabic Language.

Al-Maqdisi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad (d. 380 AH / 990 AD) (1991). Aḥsan al-Taqasim fi Maʿrifat al-Aqalim (3rd ed.). Madbouly Library.